

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: 37]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بيان مثال على
انعدام الخبرة
بعد بيان حكمها

لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فحذّر من مخالفة أمر قضاء الله ورسوله ﷺ، بين بعد ذلك أنّ ممّا قضاه الله سبحانه وهو واجب النفاذ أن يتزوج رسول الله ﷺ السيدة زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة، حيث لم يكن من ذلك بدّ بعد أن استحالت العشرة بينهما، وكان الله تعالى قد أعلم نبيه ﷺ بأمر هذا الطلاق، ثم تزويجه ﷺ منها لحكمة يعلمها الله، ولغايات تشريعية، لكنّه ﷺ تحرّج من إظهار ما أعلمه الله إياه من أمر هذا الزواج، فتحرّج أن يُخبر به زيداً والنّاس، فعاتبه ربّه على ذلك، وذكره بأنّ ما قضاه الله سبحانه ليست له فيه خيرة وأنّه واجب النفاذ، وأنّ ما كُلف بإظهاره واجب البلاغ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَمْسِكْ﴾: (مسك) أصل يدلُّ على حبس الشيء أو تحبُّسه⁽¹⁾ وإمساك الشيء: التعلُّق به وحفظه، قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيفٍ إِحْسَانٌ﴾ [البقرة: 229]، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسك).

﴿الْأَرْضِ﴾ [الحج: 65]، أي: يحفظها⁽¹⁾، والمراد بقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: لا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها⁽²⁾.

(2) ﴿قَضَى﴾: لفظ (قضى) هنا ليس من القضاء بمعنى الحكم، بل من الانقضاء بمعنى الذهاب والانتها، يقال: قضى الشيء يقضي: إذا قطعه وأزاله⁽³⁾، وانقضى الشيء وتقضّى أي فني وذهب⁽⁴⁾، ومنه انقضاء الأجل بمعنى انتهائه.

(3) ﴿وَطَرًا﴾: (وطر) الوطر: النهمة والحاجة المهمة⁽⁵⁾، وهو كلُّ حاجةٍ كان لصاحبها فيها همّة، فهي وطره، وقضيت من أمر كذا وكذا وطري، أي: حاجتي، وجمع الوطر أوطار⁽⁶⁾، والمراد بقضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارة عن الطلاق؛ لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة، والمعنى: لما قضى زيد حاجة من نكاحها زوجناكها⁽⁷⁾.

(4) ﴿حَرْجٌ﴾: (حرج) أصل الحرج والحراج مجتمع الشيئين، وتصور منه ضيق ما بينهما⁽⁸⁾ ويقال: مكان حرج وحرج، أي ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الرعاية⁽⁹⁾، فقيل للضيّق: حرج، وللإثم حرج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ [النساء: 65]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]⁽¹⁰⁾ والمراد هنا: ضيق ومشقة⁽ⁱⁱ⁾ أو إثم وذنب.

(5) ﴿أَدْعِيَابِهِمْ﴾: (دعو) أَدْعِيَاءُ جمع دَعَى، وهو مأخوذ من الدَّعْوَةِ؛ يقال: دَعَى بَيْنَ الدَّعْوَةِ، والدَّعَاءُ أن تدعى حقاً لك أو لغيرك، يقال: ادّعى حقاً أو باطلاً، والدَّعْوَةُ: ادّعاء

(1) الراغب، للفردات: (مسك).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 232 / 4.

(3) الراغب، للفردات: (تفت).

(4) الخليل، العين: (قضى).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، للفردات: (وطر).

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة: (وطر).

(7) ابن الجوزي، زاد السير: 468 / 3.

(8) الراغب، للفردات: (حرج).

(9) الجوهري، الصحاح: (حرج).

(10) الراغب، للفردات: (حرج).

(11) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 105 / 7.

الولد الدَّعِيَّ غيرَ أبيه، ويدَّعيه غيرُ أبيه⁽¹⁾ والمُراد بالأدعياء هنا: الأبناء بالتَّبَنِّي.

❁ المَغْنَى الإِجْمَالِيُّ:

القضاء على
عادة التَّبَنِّي
بتزويج خير
الخلق من
طليقة مُتَّبَناه

تُذَكِّرُ الآيَةُ الكريمة رسولَ الله ﷺ بموقفه مِنَ التَّحَرُّجِ من إعلانِ ما كان قد أعلمه ربُّه به من أمرِ زواجه مِنَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بعد طلاقها من زيدِ بنِ حارثةَ ﷺ بخطابه: واذكرْ يا رسولَ الله، إذ تقولُ لزيدِ بنِ حارثةَ الذي أنعمَ الله عليه بهدايةِ الإسلام، وأنعمتَ عليه بالتَّربِيَةِ والعِتقِ، أمسكْ عليك زوجَكَ - زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ - واتَّقِ اللهَ فيها، واصبرْ على معاشرتها، وتخفي في نفسك ما الله مظهره من أَنَّهُ سَيُطَلِّقُهَا وَأَنَّكَ ستَتَزَوَّجُهَا، وتخافُ أَن يُعَيِّرَكَ النَّاسُ، واللهُ أحقُّ أَن تخافه، ولو كان في ذلك مشقةٌ عليك، فلَمَّا قضى زيدٌ منها حاجته وطلَّقها تَخُلُّصًا من ضيقِ الحياة معها زَوْجَانِهَا؛ لتكونَ قدوةً في إبطالِ هذه العادةِ المردولة، وهي عادةُ التَّبَنِّي، وكَيْلا يتحرَّجَ المسلمون بعد ذلك مِنَ التَّزَوُّجِ بزوجاتٍ مَن كانوا يتبنَّونَهُم بعد طلاقهن، وكان أمرُ الله الذي يريده واقعًا لا محالة⁽²⁾.

❁ الإيضاحُ اللَّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

نوعُ الواوِ ودلالَتُها:

لا تكونُ الخيرة
لأحدٍ ولو كان
رسولُ الله ﷺ

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ تحتملُ أَن تكونَ استثنائيةً⁽³⁾، وتحتملُ أَن تكونَ عاطفةً على الآيةِ السَّابِقَةِ⁽⁴⁾، وغرضُها بيانُ مثالٍ من أمثلةِ استجابةِ النَّبِيِّ ﷺ لأمرِ الله تعالى، دونَ أَن يكونَ له الخيرةُ في ذلك، مع خشيتِهِ من كلامِ النَّاسِ في كلامِهِم في شأنِ الزَّواجِ من مُطلَّقةِ زيدٍ ﷺ.

(1) الخليل، العين: (دعو)، والأزهري، تهذيب اللغة: (دعا).

(2) مجموعة من علماء الأزهر، المنتخب، ص: 628.

(3) صافي، الجدول: 163 / 22.

(4) الدرويش، إعراب القرآن: 19 / 8، والخطيب وآخران، التفصيل في إعراب التنزيل: 21 / 22.

معنى (إذ) ودلائلها الارتباطية:

(إذ) اسمُ زمانٍ مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ تقديره: اذكر، من الذكر بضمّ الدال الذي هو بمعنى التذكر، فلم يأمره الله بأن يذكر ذلك للناس إذ لا جدوى في ذلك، ولكنه ذكر رسوله ﷺ؛ ليرتب عليه قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾⁽¹⁾، أي: واذكر وقت قولك لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾.

سرُّ إينار القول بصيغة المضارع:

جاء التعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ رغم أن هذا القول كان قد سلف ومضى، تصويراً⁽²⁾ واستحضاراً لوقت هذا القول وحالته، ليرتب عليه ما ورد بعده من عتابٍ، ومن إقرار لزواجه ﷺ من السيدة زينب لحكمة أرادها الله تعالى، منها إبطال التّبني، كما أن صيغة المضارع ﴿تَقُولُ﴾ تُشعرُ بأنه ﷺ قد كرّر قوله لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ مراراً ولم يكتفِ بمرّة واحدة.

نوع اللام ودلائلها:

اللام في قوله: ﴿لِلَّذِي﴾ وهو زيد ﷺ، هي لامُ التبليغ، أي: تقول مُبلّغاً زيداً كذا وكذا، ويجوز أن تكون لامُ الأجل والتعليل، أي: تقول لأجله كذا وكذا.

نكتة التعبير بالاسم الموصول دون الاسم الصريح:

جاء التعبير بالاسم الموصول ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ﴾ المراد به زيد، نظراً لما تضمّنته جملة الصلة المعطوفة وهي قوله: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ من معنى إنعام الرسول ﷺ على زيد ﷺ؛ إشارة إلى أن هذا القول نفسه: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ هو من جملة إنعام الرسول ﷺ بحسب الظاهر، فالتعبير بالموصول قد يكون للإشارة إلى وجه بناء الخبر⁽³⁾.

من غايات
التذكير ترتيب
أمر خفي على
ظاهر

استحضار
الحالة الماضية
يُعزّز حضور
الجانب النفسي

إظهار المعاني
التعليقية من
وظائف جملة
الصلة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/22.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 300/3.

(3) ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد مع القونوي: 364/15.

وقيل: السَّبَبُ هو ما تُشعر به الصَّلَةُ المعطوفةُ وهي ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ من تنزُّه النَّبِيِّ ﷺ عن استعمال ولائِه لحملِه على تطبيق زوجِه، فالمقصودُ هو الصَّلَةُ الثَّانِيَةُ، وهي ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾؛ لأنَّ المقصودَ منها أنَّ زيْدًا أخصَّ النَّاسَ به، وأنَّ الرَّسولَ ﷺ أحرصُ على صلاحِه، وأنَّه أشار عليه بإمساكِ زوجِه لصلاحِها به⁽¹⁾.

بلاغة استعمال فعل ﴿أَنْعَمَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الإنعامُ تمامُ
الإحسانِ وكَمالُ
الامتنانِ في
إسعادِ العقلاء

الإنعامُ: إيصالُ الإحسانِ إلى الغَيْرِ، ولا يقال إلا إذا كان الموصلُ إليه من جنسِ الناطقين، فإنه لا يُقال: أَنْعَمَ فلانٌ على فرسِه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]⁽²⁾، ولما كان زيْدٌ ﷺ قد امتنَّ اللهُ عليه بالإسلام، وبرفقة النَّبِيِّ ﷺ، الذي أنعم عليه بحُسنِ المعاملةِ وبالعتقِ مِنَ العُبودِيَّةِ وبترويجِه ابنةَ عَمَّتِه زَيْنَبَ بنتَ جحشٍ ﷺ، لما كان ذلك كذلك أُوثر التعبيرُ بالإنعامِ لدلالته على بالغِ الإحسانِ الذي ناله زيْدٌ مِنَ اللهِ ورسولِه، وقد أُوثرَت صيغةُ الماضي الدَّالَّةُ على تحقُّقِ الوقوعِ، لحصولِ هذه المظاهرِ كُلِّها في حقِّه ﷺ.

نكتة التعبير بعنوان الألوهية دون الربوبية:

استحضارُ اسمِ
النَّعَمِ في الذِّكْرِ
إنعامٌ وامتنانٌ

أثرَ النِّظْمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظِ الجلالةِ مُسْنِدًا للإنعامِ إليه ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، وذلك لما في هذا اللفظِ من توريثِ المهابةِ والخشوعِ في قلوبِ المؤمنين، فإسنادُ الإنعامِ إلى لفظِ الجلالةِ يتركُ في قلبِ زيْدٍ ﷺ ما وُصف له مِنَ الطَّمَأْنينةِ والراحَةِ، وهي جائزةٌ بين يدي خضوعِه لأمرِ اللهِ تعالى في مثل هذا الأمرِ العظيم، كما أنَّه قد اقترنَ ذِكْرُ اللهِ ورسولِه في نسقِ السَّورةِ في أكثرَ من موضعٍ، من مثل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: 29]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأحزاب: 31]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 31/22.

(2) الراغب، المفردات: (نعم).

اللَّهُ وَرَسُولَهُ ﴿[الأحزاب: 33]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأحزاب: 57]، وهنا جاء ذكر المنعم ﷺ، وذكر المنعم النعمة الخاصة، وهي إنعام محمد ﷺ.

نوع الواو ودلائلها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَمْتَ﴾ عاطفة، حيث عطفت (أنعمت) على جملة: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ﴾ بقصد الجمع بين الإنعامين؛ الإلهي والنبي، وهو من إكرام زيد ﷺ.

فائدة استعمال حرف الاستعلاء:

استعمل حرف الجر الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ﴾ وهو للاستعلاء المجازي؛ لبيان أن إنعام الله ورسوله عليه قد تمكّن منه، وأحاط به، وفيه بيان الامتنان في أهل الإيمان.

نوع العطف ودلائله:

عُطف ذكر إنعام رسول ﷺ على زيد ﷺ على إنعام الله تعالى، فكرر الفعل ونُصّ عليه استقلالاً وذلك لتغاير المنعم⁽¹⁾، مع أن إنعامه ﷺ في هو من جملة إنعام الله تعالى عليه؛ فيكون من عطف الخاص على العام، ووجه التخصيص، أن إنعامه ﷺ على زيد لا يشبه أي إنعام، ولم يكن لأحد ما كان لزيد ﷺ، والله سبحانه هو الذي هيأ له هذه الصّحبة وتلك المرافقة، وتوطئة لنفي حالة الحرج التي كانت في نفس النبي ﷺ، فهي لبيان منافاة حاله لما صدر عنه ﷺ من إظهار خلاف ما في ضميره؛ إذ هو إنما يقع عند الاستحياء أو الاحتشام، وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد⁽²⁾.

عطف الخاص
على العام يكون
لمزية في ذلك
الخاص

(1) ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد مع القونوي: 364 / 15.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 105 / 7.

فائدة إسناد فعل الإنعام إلى ضمير المخاطب:

توافق الضمائر
أولى من
الالتفات بلا
مُسَوِّغٍ

أُسند الإنعامُ إلى ضميرِ المخاطبِ دون الاسمِ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَمْتَ﴾؛ فلم يقل: (وأنعم عليه رسوله)، أو (أنعمت أنت عليه)، وذلك لانساقِ الأسلوبِ مع الخطابِ في مستهلِّ الآية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ فالخطابُ له ﷺ، فناسبَ أن يمضي الكلامُ على الأصل، دون حاجةٍ إلى الالتفاتِ عنه، كما أنَّ في توجيهِ الكلامِ إليه ﷺ بقاءَ الخطابِ اهتمامًا به وتحفيزًا له للقيامِ بتنفيذِ ما أمر به.

فنُ الجناس:

بين قوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ﴾ و﴿وَأَنْعَمْتَ﴾ جناسٌ، لاتّحادِ أحرفِ الكلمتين، وما في الثانيةِ هو ضميرٌ متّصلٌ وليس من الكلمة نفسها، وجمعٌ بين الإنعامين تكريماً للمُخبر عنه.

دلالة جملة مقول القول ﴿أَمْسِكْ﴾:

الدلالة على فرط
أدبه ﷺ وشدة
حيائه

قوله تعالى على لسان نبيّه محمدٍ ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ هو قوله ﷺ لزيدٍ كوصيّةٍ له ونصيحةٍ، قال له ذلك مع علمه أنّه سيطلقها، وذلك من فرط أدبه وحيائه ﷺ، فقولُه هذا إنّما هو "على طريق الأدب والوصيّة"⁽¹⁾.

بلاغة استعمال مفردة الإمساك:

الإرشاد بهذا
التعبير إلى
تقويّة أوامر
العلاقة الزوجيّة
لتبقى قائمة
على المودة
والرحمة

جاء التّعبيرُ بلفظِ الإمساكِ على صيغة الأمر، كنايةً عن أمرِ النَّبيِّ ﷺ لزيدٍ في الكفِّ عن طلاقِ زوجته، والإبقاءِ عليها، وذلك لما يتضمّنه لفظُ الإمساكِ من دلالةٍ على قوّة القبضِ على الشّيء، مع التعلُّقِ به وحفظه⁽²⁾، وقد جاء لفظُ الإمساكِ كنايةً عن إبقاءِ الحياة الزوجيّة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِخُ بِإِحْسَنٍ﴾

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 481/8.

(2) الراغب، المفردات: (مسك).

[البقرة: 229]، أو يكون لفظ الإمساك استعارة "لبقاء الصّحبة تشبيهاً للصّاحب بالشيء الممسك باليد" (1).

دلالة فعل الأمر ﴿أَمْسِكْ﴾:

جاء الأمر بالإمساك في قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ موحياً بأنّ زيداً ﷺ جاء يعرض على رسول الله ﷺ مفارقة زوجته؛ فأمره بما أمر.

التّشريع لله
وحده وليس
لرسول الله ﷺ
إلا الطّاعة

ولسائل أن يسأل عن غرض النّبي ﷺ حين أمر زيداً حين قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؟ وهو يعلم أنّ الله تعالى أخبره بأنّه سيتزوّجها، وهذا ما ثارت به كلمات المفسّرين، وخلاصة الأمر؛ أنّ رسول الله ﷺ جاء بخلاف الأولى فيما يظنّه الطّانّ منّا، فإنّه ﷺ من أرقّ النّاس أفئدة، فقلوله: ﴿أَمْسِكْ﴾ لا يقتضي مخالفة أمر الله تعالى، بل يقتضي أن يعلم زيداً أنّ لا شأن له في المسألة وإن علّم بها، فهو أمر محض من الله تعالى، وأنّ الأمر لو كان بيده لما قال إلا ما قال، وأمّا أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالخشية دون خشية النّاس، فهو من باب الإرشاد، فإنّ خشية النّاس لا داعي لها في هذا المقام، والأمر لله تعالى وحده، فهو المشرّع لعباده ما يصلحهم، فهي مسألة تشريعية اجتماعية.

نكتة تقديم ﴿عَلَيْكَ﴾ على المفعول:

قدّم الجارّ والمجرور ﴿عَلَيْكَ﴾ على المفعول ﴿زَوْجَكَ﴾؛ للاهتمام بشأن الإمساك إذ هو محل الحديث.

نكتة ذكر الجارّ والمجرور ﴿عَلَيْكَ﴾:

ذكر حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ دون الاكتفاء بذكر المفعول به وحده، كأن يقول: (أمسك زوجك)،

الرّغبة في صلاح
النّاس قيمة
راسخة لا كلمة
عابرة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32 / 22.

وذلك للدلالة على الملازمة والتّمكّن مثل: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، وهو ما يُشعرُ بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان حريصًا على أن يُمسك زيدٌ زينبَ ﷺ، أو لتضمين فعلٍ ﴿أَمْسِكْ﴾ معنى احبس، أي: أبقِ في بيتك زوجك⁽¹⁾.

نكتة اختيار لفظ (الزوج):

أثر النظم الكريم استعمال مفردة (زوج) دون (امراة) في قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، وذلك لدلالة هذا اللفظ على التماسك والاقتران بين الزوجين، أي: أنيستك وقرينتك التي هي كالشّق الآخر منك؛ فإن قيل: كانت العلاقة بين زيد وزينب على غير ما يُرام، فلم قال زوجة، والزوجة هي الأنيسة والأليفة؟ فالجواب كان ذلك على سبيل التحفيز لرأب الصدع وتجاوز الخلاف لتقوم الزوجية بينهما على الوداد والرحمة.

فائدة إضافة (زوج) إلى ضمير الخطاب:

أُضيف لفظ الزوج إلى ضمير الخطاب: ﴿زَوْجَكَ﴾ للإشعار بما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الزوجين، من القرب والاتّفاق، وذلك لرأب الصدع وتجاوز أسباب الشّقاق.

نوع الواو ودلالاتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾ عاطفة على جملة: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، فهو لم يأمره بالإمسك بل أمره بإحسان العشرة بعد الإمساك، بملاحظة التقوى في الأمر كله.

مناسبة ذكر الاسم الجليل:

التّقوى خوفٌ ومهابةٌ؛ فناسب الأمر بها في مقام التّحذير أن يكون المذكور الاسم الجليل ﴿اللَّهُ﴾ لما له من هيبة ورهبة تدفعان إلى

اللفظ القرآني
قائم على تعيين
المعاني الصريحة
والضمنية

الاسم الجليل
يربي الهابة في
القلوب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32/ 22.

الخوف منه سبحانه، فلا يقع ظلمٌ من أحد على أحد، بل يقع عفوٌ وتسامحٌ طمعاً في عطائه وفضله.

نوع الواو ودلائلها في قوله: ﴿وَتُخْفَى﴾:

تحتمل الواو في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفَى﴾ أن تكون عاطفةً للجملة على جملة: ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾⁽¹⁾، أو على جملة: ﴿أَمْسِكْ﴾ أي: وإذ تجمع بين قولك كذا وإخفاء كذا، وخشية الناس⁽²⁾، وتحتمل أن تكون استئنافية، أو واو الحال، أي: والحال أنك تُضمر في قلبك وتستتر الأمر الذي سيظهره الله للناس⁽³⁾، وذلك على إضمار مبتدأ، أي: وأنت تُخفي، لأنه مضارعٌ مثبتٌ، فلا يدخل عليه الواو إلا على ذلك الإضمار⁽⁴⁾.

تحتمل الواو
العطف
والاستئناف
والحال

بلادة استعمال لفظ الإخفاء مادةً وصيغةً:

يطلق الإخفاء على ما يُقابل الإبداء والإعلان، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 271]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ [المتحنة: 1]، والخفاء: ما يُستر به كالغطاء⁽⁵⁾، أي: أن الخفاء يُطلق على السُّرّ مطلقاً، بخلاف لفظ السُّرّ، فإنه يُطلق على الإسرار بالحديث خاصة⁽⁶⁾، ويكون بين اثنين أو أكثر، فلفظُ الإخفاء أشدُّ من لفظ الإسرار، فالإخفاء أن يبقى الأمر خفياً مستوراً، بخلاف الإسرار فيذكر لقليل من الناس، والأنسب في هذا المقام هو لفظُ الإخفاء؛ لأنَّ الأمر لم يخرج من نفس النبي ﷺ، وأوثر التعبير بصيغة

الإخفاء ستر تام
لأمر المخفي
بخلاف الإسرار
فهو ستر ناقص

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32/22.

(2) السمين، الدر للصون: 9/126.

(3) الهري، حقائق الروح والريحان: 23/28.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 8/483، والسمين الحلي، الدر للصون: 9/126.

(5) الراغب، المفردات: (خفي).

(6) الراغب، المفردات: (خفي).

المضارع **﴿وَتُخْفَى﴾**؛ للدلالة على تكرر إخفاء ذلك وعدم ذكره⁽¹⁾ لحكاية الحال الماضية⁽²⁾.

بدیع فن الطباق:

ما بين الإخفاء
والإبداء علم
مستور وغيب
خفي

بين قوله تعالى: **﴿وَتُخْفَى﴾** و**﴿مُبْدِيهِ﴾** طباق إيجاب، حيث قابل الإخفاء الإبداء، وصدر الإخفاء عن رسول الله ﷺ، وصدر الإبداء عن رب العالمين سبحانه، ولم يكن بين إخفائه ﷺ وإبداء الله للأمر علم لأحد به، وهذا يدل على الستر التام للأمر، وأنه وقع موقعاً عظيماً في نفس النبي ممّا لم يستطع معه أن يبوح به لأحد.

دلالة قيد **﴿فِي نَفْسِكَ﴾**:

الأخبار المخفية
دليل الحرص
وبرهان الحس

دل ذكر القيد **﴿فِي نَفْسِكَ﴾** على تصوير شدة إخفائه ﷺ أمر زواجه من السيدة زينب، حتى أنه اختزنه في نفسه، ولم يُخبر به أحداً مطلقاً حتى أقرب الناس إليه الذين كان يستشيرهم في الأمور كلها؛ كالشّخين ﷺ، وهو ما يُصوّر الجانب النفسي لدى رسول الله ﷺ في هذا الأمر ذي الحساسية الكبيرة.

إثناز إضافة النفس إلى ضمير المخاطب:

أضيفت النفس إلى ضمير المخاطب **﴿نَفْسِكَ﴾**، لتتسق الضمائر في السياق نفسه، ولتكشف عن مدى التصاق المخفي بنفسه ﷺ.

نوع **﴿مَا﴾** ودلائلها:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: **﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** اسم موصول بمعنى الذي، وهو مع صلتها يبين حقيقة مآل الأمر المخفي.

نكتة تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

قدّم الجار والمجرور **﴿فِي نَفْسِكَ﴾** على المفعول **﴿مَا﴾**؛ لأنّ العتاب

ربّ قيد يعيّن
المراد ويصوّر
المطلوب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32 / 22.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 366 / 15.

إنَّما وقع على الإخفاء وهو محلُّ الاهتمام، والقيْدُ ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ يساعدُ على تصوير ذلك الإخفاء، بل يُعَيِّنُ أهميَّةَ الأمر، ولو تأخَّر ذكرُ ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ لما اكتسب النَّظْمُ جلالَ المعنى، وبهاءَ المبني؛ فناسب تقديمه على المفعول.

غرض تقديم المسند إليه:

قُدِّمَ المسندُ إليه وهو اسمُ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ على المسندِ ﴿مُبْدِيهِ﴾؛ لإفادة القصرِ والحصر؛ فإنَّه لا يعلمُ ما في الصُّدورِ أحدٌ غيره، ومن ثمَّ لا يقدرُ على إبدائها أحدٌ سواه.

دلالة اختيار لفظِ ﴿مُبْدِيهِ﴾ مادةً وصيغةً:

البُدُوُّ هو الظُّهورُ البين⁽¹⁾، ومعنى ﴿اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مُظهره بجلاءٍ، وذلك كونُ هذا الزَّواجِ حُكْمًا قَدَرِيًّا قَدَّرَهُ اللهُ تعالى على نبيِّه ﷺ، لغاياتٍ وحِكمٍ منها إبطالُ التَّبَيُّ، وهو كذلك حُكْمٌ تكليفيٌّ أوجبه اللهُ تعالى على نبيِّه ﷺ، فهو واجبُ النَّفَازِ، ولا خيرةَ له فيه، ولذلك أُوثر في الإبداءِ التَّعبيرُ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ لتأكيدِ حصوله في حينه، فكأنَّه قيلَ له: إنَّ هذا الأمرَ بادٍ ظاهرٌ بانكشافٍ بينٍ لا محالةً، وإن أخفيتَه عن النَّاسِ.

نوعُ الواو ودلالَتُها:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى﴾ عاطفةٌ؛ عطفت جملَةً (تخشى الناس) على جملة ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ فتأخذُ حُكمَهَا، أي: تُخفي ما سيُبيده اللهُ، وتخشى النَّاسَ من إبدائه⁽²⁾.

توجيه استعمال لفظِ (الخشيّة) مادةً وصيغةً:

الخَشْيَةُ هي: خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ، وأكثرُ ما يكونُ ذلك عن علمٍ

(1) الراغب، المفردات: (بدا).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 33 / 22.

الإبداء بعد
الإخفاء يأتي
ظاهرًا مُنْكَشَفًا

تتعيّن معاني
الألفاظ بحسب
سياقها ومقامها
في الكلام

بما يُخَشَى منه⁽¹⁾، لكنّها في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ يُرَادُ منها دفعُ النَّبِيِّ ﷺ إلى الإقدام على ما كُلفَ به من أمر هذا الزَّوْجِ غيرِ مبالٍ بإرجاف المنافقين وغيرهم، فالمرادُ به: كراهية ما يرجفُ به المنافقون، والكرهية من ضروب الخشية، إذ الخشية جنسٌ مقولٌ على أفرادهِ بالتشكيك، فليست هي خشية خوفٍ، إذ النَّبِيُّ ﷺ لم يكن يخافُ أحدًا من ظهور تزوُّجِه بزينب، ولم تكن قد ظهرت أراجيفُ المنافقين بعدُ، ولكنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يتوسَّمُ من خُبثهم وسوء طويبتهم ما يبعثهم على القالة في النَّاسِ لفتنة الأُمَّة، فكان يعلمُ ما سيقولونه ويمتعضُ منه، كما كان منهم في قضية الإفك، ولم تكن خشيةٌ تبلغُ به مبلغَ صرفِه عمّا يرغبُه بدليل أنَّه لم يتردّد في تزوُّج زينب بعد طلاق زيدٍ، ولكنّها استشعارٌ في النَّفسِ وتقديرٌ لما سيرجفه المنافقون⁽²⁾، وأوْثرت صيغةُ المضارع لاستحضار الحال الماضية⁽³⁾.

تعريفُ لفظِ ﴿النَّاسِ﴾:

تعريفُ لفظِ ﴿النَّاسِ﴾ للعهد، والمعهودُ هنا همُ المنافقون ومن يسايرهم من غيرِ المسلمين، فهمُ المتوقَّعُ منهم الإرجافُ، أمّا المسلمون فهمُ مُسلَّمون لأمر الله واثقون في أنَّ رسولهم لا يصدرُ في قراراتِه ولا في أفعاليه إلّا عن وحي، ويحتملُ أن يُراد بها الجنسُ؛ لأنَّ الزَّوْجَ من مطلَّقةِ المُتَبَنَّى كالزَّوْجِ مِنَ البنت، وهو أمرٌ صعبٌ على النَّاسِ تقبُّله، لكنَّه لما أتى من رسول الله هان على المؤمنين، وعظُم في نفوسِ المنافقين.

نوعُ الواو ودلالاتها:

تحتملُ الواو في جملة: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ﴾ أن تكون للحال، أي: تخشى

(1) الرأغب، المفردات: (خشى).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 33/22.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 366/15.

الأُمُور الجسامُ
يُهوِّنُها الإيمانُ
ويُشوِّهُها
النِّفاقُ

الواوُ حاليَّةٌ
وهو الظَّاهرُ،
وتحتملُ أن
تكون اعتراضيةً

النَّاسَ والحالُ يجبُ أن يكونَ أنَّ الله تعالى هو الأحقُّ بالخشية، وتحتُمَلُ أن تكونَ اعتراضيةً، والجملةُ معترضةٌ؛ لمناسبة جريانِ ذكرِ خشيةِ النَّاسِ، ومعنى الآية هو معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ (الأنعام: 44)⁽¹⁾، والفرقُ بين الإعرابين قائمٌ على التفريق بين المعنيين، فإذا جعلناها حاليةً وهو الشائعُ من كلام المفسرين فالأمرُ للعتاب، وعلى القولِ بأنَّ الواوَ للاعتراضِ فتتلُّ دلالة العتاب.

نكتة التعبير بعنوان الألوهية:

جاء التعبيرُ بلفظِ الجلالة (الله) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾؛ لما في الاسمِ الجليلِ من دلالةٍ على الهيبةِ والجلالِ الذي يناسبُ مقامَ خشيةِ مَنْ الله تعالى.

نكتة التعبير بلفظِ ﴿أَحَقُّ﴾ معنى وصيغة:

أفعلُ التفضيلِ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ ليس على بابهِ من المفاضلة، بل هو مسلوبُ المفاضلة، إذ هو بمعنى حقيق؛ لأنَّ الله تعالى وحده هو الحقيقُ بالخشية دون سواه، فلا يشاركه فيها أحدٌ، كما أنَّه لا يوجدُ في "الكلام السابق" ما يفيدُ وقوعَ إثارةِ خشيةِ النَّاسِ على خشيةِ الله، ولا ما يفيدُ تعارضًا بين الخشيتين حتى يُحتاجَ إلى ترجيحِ خشيةِ الله على خشيةِ النَّاسِ، والمعنى: والله حقيقٌ بأن تخشاه⁽²⁾، وعليه فالواوُ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ أقربُ أن تكونَ اعتراضيةً، وإن كانت من باب المفاضلة، فتُحمَلُ على الإلهابِ والتهيجِ؛ لتقوية موقفِ النَّبيِّ ﷺ في شأنِ زواجه من زينبَ ؓ.

تحريكُ نفوسِ
الْكَمَلِ يَكُونُ
بِإِلْهَابٍ
والتَّهْيِيجِ

نكتة التعبير بالمصدر المؤول:

جاء التعبيرُ بالمصدرِ المؤولِ ﴿أَنْ تَخْشَهُ﴾؛ لما يحويه المضارعُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 33 / 22.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 34 / 22.

مَنْ الإشارة إلى تجديد الخشية، واستمراريتها في هذا الموقف وفي سائر المواقف.

فَنُ الْجَنَاسِ:

بين قوله تعالى: ﴿وَتَخَشَّى﴾ و﴿تَخَشَّلَ﴾ جناس، يحمل في طياته المناسبة فلما "ذكر الخشية من الناس، ذكر أَنَّ الله أَحَقُّ بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء"⁽¹⁾.

نوعُ الفاء ومعناها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا﴾ لتفريع⁽²⁾ الجملة على جملة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾، وقد طوي كلام يدلُّ عليه السياق، مُفادُه أَنَّ الذي وقع من زيد عليه السلام هو تطليق زوجته لا إمساكها، وطُيَ الحدث لما لا فائدة فيه مفيدٌ.

معنى (لما):

استعمل النظم الكريم أداة (لما) لدلالتها على الظرفية، أي: (حين قضى)، وهي شرطية غير جازمة، أي: لما جاء وقتُ استيفاء زيد منها وطره وقع تزويجك منها.

سرُّ اختيار لفظِ ﴿قَضَى﴾ مادةً وصيغةً:

استعمل النظم الكريم لفظة ﴿قَضَى﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ بمعنى الذهاب والانتهاه والاستيفاء، يُقال: قضى الشيء يقضي: إذا قطعه وأزاله⁽³⁾، وانقضى الشيء وتَقَضَّى، أي: فني وذهب⁽⁴⁾، ومنه انقضاء الأجل بمعنى انتهائه، ومعناه في الآية: فلما استتمَّ زيدُ مدَّةَ معاشرَةِ زينب عليها السلام، وأيسَ من استمرار العشرة بينهما فطلقها، أي: فلما لم يبقَ له وطرٌ منها⁽⁵⁾،

الفاء للتفريع
لترتيب ما بعدها
على ما قبلها

أصبح
طليقة زيد عليها السلام
كالأجنبية في
نفسه

(1) الخازن، لباب التأويل: 428 / 3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 38 / 22.

(3) الراغب، المفردات: (تفث).

(4) الخليل، العين: (قضى).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 38 / 22.

وأوثر التعبير بالماضي، للتحقق من تمام الانقضاء، ولذلك جاز دخول (لما) على الكلمة فهي إنما تدخل على الماضي لا غير، أي: قضى وطره بحيث لم يبق في نفسه شيء منها ألبتة.

لطيفة في التصريح باسم ﴿زَيْدٌ﴾ دون الكناية:

لم يُذكر اسم أحد من الصحابة في القرآن سوى زيد رضي الله عنه في هذه الآية، وقد أظهر اسمه وكان مقتضى إضماره بأن يُقال: فلما قضى منها وطراً، أي: قضى الذي أنعم الله وأنعمت عليه، فعدل عن مقتضى الظاهر لكي يكون الأمر صريحاً في شأن الزواج من طليقة المتبنّى، وكما لا يقع مجال للاحتمال، والسياق تشريعي في أمر لا يقبل كبير نقاش، وللتنويه بشأن زيد، قال السهيلي: "كان يقال له زيد بن محمد، فلما نُزِعَ عنه هذا الشرف حين نزل: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: 5]، وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصه لم يكن يخص بها أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهي أنه سمّاه في القرآن، ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم نوّه غاية التنويه"⁽¹⁾.

غرض تقديم الجارّ والمجرور على المفعول:

قدّم الجارّ والمجرور ﴿مِنْهَا﴾ على المفعول ﴿وَطَرًا﴾؛ لأنّ مدخول الجارّ هو ما دار حوله الحديث؛ فكان أولى بالتقديم في الذكر، فالكلام عن زينب رضي الله عنها وطلاقها.

نكتة اختيار لفظ ﴿وَطَرًا﴾ وتنكيره:

جاء ذكر لفظ ﴿وَطَرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾؛ ليدلّ على الحاجة المهمة، فالوطر هو كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة فهي وطره⁽²⁾، فدلّ ذلك على أنّ زيداً رضي الله عنه كان له همّة في زينب رضي الله عنها، فلما فترت وذهبت حاجته كلياً - بقطع

تقليل الاحتمال
هو الأنسب
في النظم
التشريعي

نفى وجود أي
إجبار أو إكراه أو
إجراج

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22 / 38، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14 / 194.

(2) الخليل، العين: (وطر).

النَّظَرِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لِذَلِكَ - طَلَّقَهَا، فَجَاءَ طَلَّاقُهَا لَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ حَاجَتِهِ كَامِلَةً، أَيْ: لَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَدَخَّلْ بِأَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ فِي شَأْنِهِ مَعَ زَوْجِهِ، وَلَوْ أَكْرَهَهُ أَوْ أَحْرَجَهُ لِطَلَّاقِهَا لَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ، وَلَمَّا صَحَّ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ الْمَفْرَدَةِ الدَّالَّةِ عَلَى سَلْبِ كُلِّ حَاجَةٍ، وَكُلِّ هَمَّةٍ مِنْ نَفْسِ زَيْدٍ ﷺ، وَمَعَ التَّنْكِيرِ وَقَعَ الْعَمُومُ.

علَّة اختيار لفظ التزويج دون النكاح:

أثر النظم الكريم استعمال كلمة الزواج التي تدل على الاقتران، دون النكاح فهو فللعمد، ثم يُستعار للجَماع⁽¹⁾، ولَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ الْإِخْبَارَ عَنِ الْإِقْتِرَانِ الَّذِي تَحَقَّقَ بِهِ الْغَايَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ مِنْ إِبْطَالِ التَّبْنِيِّ أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِالتَّزْوِيجِ فَقَالَ: ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾.

نكتة إسناد فعل التزويج إلى ضمير التعظيم:

أَسَدَ النَّظْمِ فَعَلَ (زَوْجَ) إِلَى ضَمِيرِ الْعِظَمَةِ (نَا) لِتَعْظِيمِ الْفِعْلِ وَتَشْرِيفِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَمْرُ تَزْوِيجِهِ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﷺ، فَمَا يُسْنَدُ إِلَى الْعَظِيمِ عَظِيمٌ، وَمِنْ دَوَاعِي عِظَمَةِ هَذَا التَّزْوِيجِ مَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ تَحْقِيقِ غَايَاتٍ تَشْرِيعِيَّةٍ أَهْمُهَا إِبْطَالُ التَّبْنِيِّ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ آثَارٍ كَالْمِشَارَكَةِ فِي الْإِرْثِ، وَتَزْوِيجُ اللَّهِ تَعَالَى لَزَيْنَبَ ﷺ حَقِيقِيًّا؛ لِذَا كَانَتْ تَفَخَّرُ عَلَى زَوْجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ بِقَوْلِهَا: «زَوَّجَنَّا أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»⁽²⁾.

لطيفة اجتماع الفعل والفاعل والمفعولين:

اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ فَعْلُ التَّزْوِيجِ وَالْفَاعِلُ وَهُوَ ضَمِيرُ الْعِظَمَةِ، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ الْكَافُ وَالْمَقْصُودُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي وَهُوَ ضَمِيرُ الْهَاءِ وَالْمَقْصُودُ بِهِ زَيْنَبُ ﷺ، وَقَدْ سَوَّغَ

(1) الرأغب، المفردات: (نكح).

(2) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (7420).

انتقاء المفردات
موصول
بغايات السياق
التشريعية

أعظم زواج
عرفته البشرية
ما صدر عن
العظيم
سبحانه

مجيء الضمائر
مقتربة كدلالة
لفظ الزواج مع
تقديم الأعلى
رتبة على من
دونه

اتَّصَالَهُمَا بالفعل اختلاَفُهُمَا في الرِّتبة، فهما مفعولان أوَّل وثانٍ، وهو الأَفْصَحُ في عُرْفِ النُّحَاةِ، ولا مُسَوِّغٌ للفصل، بل جاءت على مزيَّة الإيجاز، ولما كان لها نفس النِّغم والجرس الصَّوتِي الذي تميَّزت به في نطقها ككلمة واحدة ﴿زَوَّجْنٰكَهَا﴾، وهذا يُلفَتُنَا إلى ما أجراه القرآن الكريم على الكلمات الطَّويلة من أسباب العذوبة والطَّلَاوة والخفة التي تبرزُ في كلماتٍ مثل: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ [البقرة: 137]، و﴿أَنْزَلْنٰمُكُمُوهَا﴾ [هود: 28]، و﴿لَيْسَتْخَلْفَتْهُمْ﴾ [النور: 55]، ومن لطيف هذا الوصل؛ أنَّ كلمة التَّزْويج فيها معنى الاقتران والوصل، فناسب ذلك اقتران الضَّمائِرِ وتقديم الضَّميرِ المذكَّرِ على المؤنَّثِ، والأعلى رُتبةً على من هو دونه، وهو الملحوظُ في الزَّواجِ.

بلغة جواب الشرط:

دَلَّتِ الجملةُ الشرطيَّةُ في الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضٰى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنٰكَهَا﴾ على أنَّ التَّزْويجَ ما حصل إلَّا بعد اكتمال الشرط وهو أنَّ قضَى زيدٌ ﷺ وطَرَهُ من هذا الزَّواجِ، وأنَّه لم يكن لأحدٍ عليه إجبارٌ، بل هو محضُ اختيارٍ منه فيما رأى وقرَّرَ، والذي يُرَشِّحُ ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمره بإمساكِها لا بطلاقها، فهو قد اختار، وكان انتهاء الأمر من عنده وحده وبقرارٍ ذاتيٍّ، كان تزويجُ الله تعالى لنبيِّه من مطلَّقةٍ زيدٍ.

بلغة التعليل في ﴿لَكِنَّ﴾:

دخلت اللَّامُ على حرفِ (كي) للتَّعليلِ، وتعلَّقَ ﴿لَكِنَّ﴾ بفعلِ ﴿زَوَّجْنٰكَهَا﴾، وهي هنا ناصبةٌ لدخول الجارِّ عليها⁽¹⁾، والجمعُ بين اللَّامِ وكي توكيدٌ للتَّعليلِ كأنَّه يقول: ليستِ العلةُ غيرَ ذلك⁽²⁾، وفي هذا أبلغُ ردٍّ على من يزعمون أنَّ زواجه ﷺ من السيِّدة زينبَ كان

طلاق زيدٍ ﷺ
بمحض إرادته
وبتمام قوته

تعليلُ التَّعليلِ
توكيدٌ بـروي
التعليلِ

(1) السمين، الدر للصون: 127/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 39/22.

لرغبةٍ فيها، فهذا هو القرآنُ يؤكدُ أنَّ العلةَ في هذا التَّزويجِ هو رفعُ الحرجِ عنِ المؤمنينِ إذا رغبوا في الزَّواجِ بمن كانت زوجةً لأدعيائِهِم المتَّبِئِينَ بعد أن أبطل الله تعالى التَّبَنِيَّ وهدمَ ما ترتَّبَ عليه من آثارٍ، ومنها تحريمُ الزَّواجِ بمن كانت زوجةً للمتَّبِئِينَ.

فائدةٌ نفِي فعلِ الكونِ:

نفِي فعلِ الكونِ في قوله تعالى: ﴿لَا يَكُونُ﴾ ليس نفياً للوجود، ولكنه نفِي للحُرمةِ التي يتبعُها انتفاءُ وجودِ أيِّ لونٍ من ألوانِ التَّحَرِّجِ والضَّيقِ مِنَ النَّاسِ بسببِ هذا الزَّواجِ.

توجيهٌ تخصيص المؤمنين بالذكر:

خصَّتِ الآيةُ الكريمةُ المؤمنينَ بالذكرِ في قوله تعالى: ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ دونَ ذِكْرِ عمومِ النَّاسِ؛ لأنَّهم همُ المنوطُ بهم رفعُ الحرجِ الشرعيِّ، وهو الذَّنْبُ والإِثْمُ، على معنى: ليس عليكم أيُّها المؤمنون من ذنبٍ في الزَّواجِ بمطلقةِ الدَّعيِّ أو أرملةٍ؛ لأنَّ الله تعالى أبطلَ التَّبَنِيَّ، وفَرَّقَ بين البُتُوَّةِ الحقيقيَّةِ التي تترتَّبُ عليها كلُّ الآثارِ الشرعيَّةِ، وهذه البُتُوَّةُ المُدَّعاةِ التي لا تترتَّبُ عليها أيُّ آثارٍ قَدَرُ رُبَّتْ على البُتُوَّةِ الحقيقيَّةِ.

نكتةٌ تقديم القيدِ على اسمِ ﴿يَكُونُ﴾:

قُدِّمَ القيدُ ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على ﴿حَرَجٌ﴾ للاهتمامِ والاختصاصِ، وذلك لرفعِ الحرجِ عنِ المؤمنينِ بسببِهِ بشكلٍ خاصٍّ، وهو حرجٌ شرعيٌّ اجتماعيٌّ.

نكتةٌ اختيار لفظِ ﴿حَرَجٌ﴾ دون رديفاته:

آثَرُ النِّظْمِ الكريمِ ذَكَرَ لفظَ الحرجِ دون رديفاته كالمشقة مثلاً، لما يشتملُ عليه هذا اللَّفْظُ من معنى، فأصلُ الحرجِ ضيقٌ لا منفذَ فيه، فهو مأخوذٌ مِنَ الحرجَةِ وهي الشَّجَرُ الملتفُّ الذي لا يمكنُ الدَّخُولُ

الأحكامُ
التَّكليفِيَّةُ
منوطةٌ بالمؤمنين

تجمعُ لفظةُ
الحرجِ الدَّلالةَ
الحسِّيَّةَ
والنَّفْسِيَّةَ
والاجتماعيَّةَ
والشرعيَّةَ

فيه⁽¹⁾، والحرَجُ له استعمالٌ يُصوِّرُ الحالةَ النَّفْسِيَّةَ، فإنَّ الذي يكونُ عنده حرجٌ من أمرٍ ما فإنَّه يكونُ راغباً فيه، فإذا أُتيحَ له رفعُ الحرجِ، ارتاح وأناخ دابَّتَه فيه، وطَبَّقَ ما أرادَ، فهو يشملُ الضِّيقَ الحَسِّيَّ المادِّيَّ كما هو في الأصلِ اللُّغَوِيِّ، والنَّفْسِيِّ والاجتماعيِّ والشرعيِّ الذي أصبح حقيقةً في الاستعمالِ، فهو أوسعُ دلالةً من الضِّيقِ، وأدقُّ في الاستعمالِ في هذا السِّياقِ، فإنَّ التَّبَنِّيَّ هو الحرجُ المانعُ مِنَ الزَّواجِ، وبزوالِ حكمِهِ القديمِ مِنَ النَّفوسِ، زالَ معه الضِّيقُ، والذي أزالَ الحرجَ ونجَّاه هو تزويجُ اللهِ تعالى نبيَّنَا ﷺ لأمنا زينب بنتِ جحش ﷺ، فكانت هذه بركةٌ من بركاتها، وبركاتِ زيدٍ ﷺ.

غرضُ تذكيرٍ لفظٍ ﴿حَرْجٌ﴾:

نُكِّرَ لفظُ ﴿حَرْجٌ﴾ لإفادةِ التَّقليلِ والعمومِ، أي: بهذا الزَّواجِ المباركِ انتفى عن المؤمنين كلُّ حرجٍ كان في الحسبانِ مهما قلَّ أو دقَّ.

فائدةٌ تقييدٍ رفعِ الحرجِ:

أفادَ قيدُ ﴿فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاءِهِمْ﴾ تخصيصَ رفعِ الحرجِ ونفيه عن المؤمنين في موضوعِ الزَّواجِ من مطلَّقاتِ أدعياءِ التَّبَنِّيِّ، فليس المقصودُ عمومُ الحرجِ، فهذا لا علاقةٌ للآيةِ به من قريبٍ أو بعيدٍ، وهو منخرطٌ في جنسِ الآياتِ التي رفعتِ الحرجَ عن المؤمنين في سياقاتٍ تشريعيَّةٍ كثيرةٍ، من مثلِ قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرْجٍ﴾ [البقرة: 6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ﴾ [الحج: 78].

نكتةٌ اختيارٍ لفظٍ ﴿أَزْوَاجٍ﴾:

آثرَ النُّظْمُ الكريمُ اختيارَ لفظِ ﴿أَزْوَاجٍ﴾ دونِ (مطلقات) أو (نساء)، وذلك لتخصيصِ الأمرِ بالأزواجِ وهنَّ أزواجٌ حينَ نزولِ الآياتِ، ولتكونَ جملةً ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ مبيِّنةً للمقصودِ، وهو

تخصيصُ
رفعِ الحرجِ في
أزواجِ الأدعياءِ
منسجمٌ مع
باقي آياتِ رفعِ
الحرجِ

الملاحظُ
بالسِّياقِ قيامُ
عقدِ الزَّوجِيَّةِ
ليشملَ ما سِواه

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 182.

أَنَّ الْحَكَمَ يَشْمَلُ الْمَطْلَقَاتِ سَابِقًا، وَاللَّوَاتِي قَدْ يَصْدُرُ فِي حَقِّهِنَّ طَلَاقٌ مُسْتَقْبَلًا، فَيَشْمَلُ الْجَمِيعَ، وَلِتَأْكِيدِ مَعْنَى قِيَامِ عَقْدِ الزَّوْجِيَّةِ دُونَ مَلِكِ الْيَمِينِ، فَهُوَ لِسَوْقِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَا ثَبَتَ لَهُ ﷺ مِنَ الْأَحْكَامِ ثَابِتٌ لَأَمَّتِهِ، إِلَّا مَا عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ ﷺ بِدَلِيلٍ (1).

نكتة اختيار لفظ الأدعياء:

تَنْفِيذُ النَّاسِ مِمَّا
أَبْطَلَ اللَّهُ حُكْمَهُ
غَايَةُ مِنْ غَايَاتِ
اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ

أَدْعِيَاءُ جَمْعُ دَعِيَ، كَأَغْنِيَاءَ جَمْعُ غَنِيٍّ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَي: مَدْعُوٌّ، بِمَعْنَى مُدْعَى لَغَيْرِ أَبِيهِ وَلَيْسَ أَصِيلًا (2)، وَأَصْلُهُ مَاخُودٌ مِنَ الدَّعْوَةِ؛ يُقَالُ: دَعَيْ بَيْنَ الدَّعْوَةِ وَهِيَ: ادِّعَاءُ الْوَلَدِ الدَّعْيِ غَيْرِ أَبِيهِ، وَيَدْعِيهِ غَيْرُ أَبِيهِ (3)، وَقَدْ آثَرَ النِّظْمُ الْكَرِيمُ اسْتِعْمَالَ مُفْرَدَةِ ادِّعِيَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَكُنَّ لَا يَكُونَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَاءِهِمْ﴾ لِبَيَانِ مَوْقِفِ الشَّرْعِ مِنْ هَذَا الْإِرْتِبَاطِ بَعْدَ نَزُولِ آيَاتِ الْإِفَاءِ حُكْمِ التَّبْنِيِّ، وَلِيَبْقَى الْوَصْفُ الثَّابِتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ (ادِّعِيَاءُ) مَنْفَرًّا عِنْدَ النَّاسِ، فَإِنَّ الدَّعْيَ الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ.

دلالة إضافة لفظ (ادِّعِيَاءُ) إلى الضمير:

إِبْطَالُ مَا سَبَقَ
لَا يَعْنِي ذِمَّ مَا
سَبَقَ

أَضَافَ النِّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ (ادِّعِيَاءُ) إِلَى ضَمِيرِ الْغَائِبِينَ الْعَائِدِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَكُنَّ لَا يَكُونَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَاءِهِمْ﴾، وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى اللَّامِ، أَي: ادِّعِيَاءُ لَهُمْ فِيمَا سَبَقَ قَبْلَ إِبْطَالِ التَّبْنِيِّ، وَذَلِكَ لِإِفَادَةِ أَنَّ أَحْكَامَهُمْ قَبْلَ نَزُولِ حُكْمِ التَّبْنِيِّ لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا إِثْمَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَلِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ غَايَةَ هَذَا الزَّوْجِ كَانَ هَدَفُهُ رَفْعُ الْحَرَجِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّزْوِجِ بِمَطْلَقَاتِ ادِّعِيَاءِ وَأَرَامِلِهِمْ، وَلَيْسَ لِلرَّسُولِ ﷺ فِيهِ مِنْ مَنَافِعٍ خَاصَّةٍ وَلَا رَغْبَةٍ قَلْبِيَّةٍ كَمَا زُعِمَ.

(1) الألوسي، روح المعاني: 206/11.

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (دعو).

(3) الخليل، العين: (دعو)، والأزهري، تهذيب اللغة: (دعا).

نكتة اختيار أداة «إِذَا»:

اختيرت أداة «إِذَا» دون (إن) في قوله تعالى: «إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا»؛ لإفادة أن رفع الجناح لا يكون إلا بعد تحقق ذلك على وجه القطع واليقين.

فائدة اختيار فعل «قَضَى» و«قَضَوْا»:

بَيَّنَّ فَعَلَيَّ «قَضَى»، و«قَضَوْا» ترابط، حيث جعل النظم فعلَ قَضَى لما قام به زيدٌ ﷺ، هو فعل قَضَوْا لأدعياء المؤمنين، وذلك لِيُفْهِمَ أَنَّ ما كان لزيدٍ يكون لمن بعده سواءً بسواء، دون إجبار أو إكراه أو إحراج، وليس المقصود اقتحام البيوت والتطليق بحجة أن الأمر قام به رسولُ الله ﷺ، فهذه ليست سنةً، بل السنة في التزام شرع الله وعدم مخالفته.

غرض تقديم «مِنْهُنَّ» على المفعول:

قَدَّمَ الجارُّ والمجرور «مِنْهُنَّ» على المفعول «وَطَرًا»؛ للاعتناء بشأن طلاقهنَّ من حيث إنهنَّ محطُّ الاهتمام وموضعُ العناية في الجملة.

نكتة اختيار لفظ «وَطَرًا» وتنكيره:

نَكَّرَ لفظُ «وَطَرًا» في قوله تعالى: «إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا»؛ ليشمل كلَّ ما يدلُّ عليه اللفظ دون تقييد أو تعيين، حيث إنَّ الوطرَ هو الحاجةُ المهمةُ، فإذا قُضِيَتِ الحاجةُ ولم يبقَ شيءٌ في النفس تجاهَ الزوجِ المرادِ تطليقها، فإنَّ الزَّواجَ منها من قِبَلِ المُتَبَنِّي سابقًا جائزٌ لا حرجَ في ذلك بتاتًا، وعليه فليس شرطًا أن يكون الوطرُ المنقضي مشابهًا لحالة انقضاء الوطرِ التي كانت في شأنِ زيدٍ وزينبَ ﷺ.

دلالة الواو في الفاصلة:

الواوُ في قوله تعالى: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» اعتراضيةٌ، والجملة بعدها اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لما قبله، وهي جملة: «زَوَّجْنَاهَا»⁽¹⁾.

ليس لأحدٍ أن
يُكره أحدًا على
تطليق زوجته

وقوع الطلاق
مبيحٌ لزواج
المرأة من مُتَبَنِّي
الدَّعي

(1) الزمخشري، الكشاف: 543/3، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 105/7، وابن عاشور، التحرير

فائدة ذكر فعل (كان):

(كان) في قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ تدلُّ على الزَّمن الماضي، والاستمرار فهي قائمة مقام (لم يزل)⁽¹⁾، وفائدة ذكرها تأكيد وقوع أمر الله كما أراد هو.

نكتة اختيار لفظ الأمر وإفراجه:

السعة الدلالية
باختلاف
درجاتها مرادة
في اختيار مفردة
الأمر

أمر الله في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ قد يكون هو التشريعي التكليفي، ومعنى كونه ﴿مَفْعُولًا﴾ أي واجب الاتباع، وقد يكون المراد به أمره الكوني القدري الذي أراده، ومعنى كونه ﴿مَفْعُولًا﴾ أي لازم الوقوع والنفاذ، وفي اختيار لفظ الأمر في هذا السياق دلالة على إرادة المعنى الأوسع، فالمراد التشريعي صراحةً، والتكويني إشارةً، وأفرد لفظ الأمر على إرادة الجنس على المعنيين التشريعي والقدري.

غرض الإضافة:

أضيف لفظ الأمر إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾؛ لتفخيمه، بقصد حضّ المخاطبين على الاعتناء بشأنه، فيسارعوا إلى الامتثال، أو الإذعان.

نكتة إثبات عنوان الألوهية:

مناسبة لفظ
الألوهية لسياق
التشريع

من دلالات الاسم الأجل ﴿اللَّهُ﴾ أنه يُنشئ في قلوب المكلفين الهيبة والجلال، فتقبل على طاعة أوامره رغبا واجتباب نواحيه رهبا، كما أن التكاليف أمرا هي من تجلياته، أما اسم الرب فهو من أسماء الجمال، ومن تجلياته الخلق والإنعام ونحو ذلك، ولذا أضاف الأمر إليه فقال: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: (أمر ربكم) ونحوه.

سر التعبير بصيغة اسم المفعول:

جاء التعبير باسم المفعول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾؛

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 125، والسيوطي، الإتقان: 2/ 256.

التناسب التام بين مطلع الآية وختامها

للدلالة على كونه واقعاً لا محالة إن كان المراد بالأمر الأمر القدرى الكونى، وعلى كونه واجب النفاذ إن كان المراد به الأمر الشرعى التكليفى، وذلك كما كان في قضية تزويجه ﷺ السيدة زينب ﷺ، "فيكون ختم الآية بهذه الملاحظة مناسباً لأولها ومقرراً له"⁽¹⁾، وهو الأنسب بفعل (كان)، فهو يُقرّر حتمية الوقوع الفعلى.

❖ الفروق المعجمية:

الإخفاء والكتمان:

يطلق الإخفاء على ما يقابل الإبداء والإعلان، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ [المتحنة: 1] والخفاء: ما يستر به كالغطاء⁽²⁾ أي أن الخفاء يُطلق على السّر مطلقاً، بخلاف لفظ (الكتم) مثلاً، فإنه يطلق على إخفاء الحديث وستره خاصّة، فيقال: كتمت الحديث كتماناً وكتماناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42]⁽³⁾، وعليه فاللفظ الإخفاء أعم وأوسع دلالة وأعمق من لفظ الكتمان، فكل كتمان إخفاء ولا عكس.

الإبداء والإظهار:

يقال: بدا الشيء بُدواً وبداءً أي: ظهر ظهوراً بيّناً⁽⁴⁾، وعلى هذا، فمعنى ﴿اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مُظهره بجلاء، وأصل (ظهر) يدل على قوّة وبروز، يقال: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمّي وقت الظّهر والظّهيرة، وهو أظهر أوقات النهار

كل إبداء إظهار، وليس كل إظهار إبداء

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 369 / 15.

(2) الراغب، المفردات: (خفي).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (كتم).

(4) الراغب، المفردات: (بدا).

وأُضَوِّها، والأصل فيه كَلَّه ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة، ويقال للركاب: الظهر؛ لأنَّ الذي يحمل منها الشيءَ ظهورها، ويقال: رجلٌ مظهرٌ، أي شديد الظهر، ورجلٌ ظهرٌ: يشتكي ظهره، وبذلك يتضح أنَّ الإبداءَ أخصُّ من الإظهار؛ لأنَّه الإظهارُ البينُ أي بجلاءٍ ووضوح، فيكون له معنى زائدٌ على أصل الظهور، وعليه فكلُّ إبداءٍ إظهارٌ ولا عكس.

الوطر والحاجة:

الوطرُ: النِّهْمَةُ والحاجةُ المهمةُ⁽¹⁾ قال الليث: الوطرُ كلُّ حاجةٍ كان لصاحبها فيها همَّةٌ، فَهِيَ وطرُه، ولم أسمع له فعلاً أكثرَ من قَوْلهم: قَضِيَتْ مِنْ أَمْرٍ كَذَا وَكَذَا وَطَرِي أَي حاجتي، وجمع الوطر أوطارٌ⁽²⁾، والمرادُ بقضاءِ الوطرِ في اللغة: بلوغُ مُنتهى ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارةً عن الطلاق؛ لأنَّ الرَّجُلَ إِنَّمَا يَطْلُقُ امرأته إذا لم يبقَ له فيها حاجةٌ، والمعنى في الآية: لما قضى زيدَ حاجته من نكاحها زوجناكها⁽³⁾.

وأصلُ (حوج) الاضطرابُ إلى الشيء، والحاجةُ واحدةُ الحاجاتِ⁽⁴⁾، يقال: حاج يحوج ويحيج: أي: احتاج، قال تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْغُوبُ فَضْلَهَا﴾ [يوسف: 68]، وقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: 9]، أي: لا يجدون مسَّ حاجةٍ من فقدٍ ما أُوتوا⁽⁵⁾، وكلمةُ الوطر فيها أصلُ معنى الحاجةِ وزيادة، إذ هي الحاجةُ المهمةُ والنِّهْمَةُ التي تحتاجُ إلى علوِّ همَّةٍ وجهدٍ زائدٍ، وبذلك يكون: كلُّ وطرٍ حاجةً، ولا عكس.

الوطرُ حاجةٌ
مقترنةٌ بهمةٍ
خاصَّةٍ؛
والحاجةُ أعمُّ
من ذلك

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وطر).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (وطر).

(3) ابن الجوزي، زاد السير: 468 / 3.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حوج).

(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حوج).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سبأ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سبأ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 3-98-732-9948-978
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سبأ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 3-98-732-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»